



مُهْمِنُونَ بِلاَ حُدُودٍ

Mominoun Without Borders

للدراسات والأبحاث [www.mominoun.com](http://www.mominoun.com)

# فَارْسِيلُ پُرُوسْتِ وَرِوَايَةُ «الْبَحْثِ عَنِ الزَّمَنِ الْمَفْقُودِ»

ترجمة:  
أحمد فريحي

تأليف:  
مريم خليلي جَاهَانْتِي و محمد بَرَانِي

20  
25

ترجمة ◆  
قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية ◆  
2025-04-08 ◆

# فَارْسِيْلُ پُرُوسْتِ وَرِوَايَةُ «الْبَحْثِ عَنِ الزَّمَنِ الْمَفْقُودِ»

تأليف: مريم خليلي جَاهَانْتِي و محمد بَرَانِي

ترجمة: أحمد فريحي

## تقديم:

تُبْرُزُ رِوَايَةُ: «الْبَحْثُ عَنِ الزَّمَنِ الْمَفْقُودِ» لِلأديبِ الفرنسي مَارْسِيْلِ پُرُوسْتِ (Marcel Proust 1871-1922) التَّأثيرَ الجَلِي الذي تُلحِقُهُ الفَلَسَفَةُ بالأدب، من جِهَةٍ؛ والتَّأثيرَ الخَفِي الذي يُلحِقُهُ الأدبُ بالفَلَسَفَةَ، من جِهَةٍ ثانية. كما تُبْرُزُ تَجْرِبَةً ذاتِيَةً للكاتب، طَوِيلَةَ الزَّمَنِ، اسْتَرَجَعَتْ لِحْظَاتِ الأَحْدَاثِ المَاضِيَةِ الدَّقِيقَةَ بِكُلِّ تَفَاصِيلِهَا الجَزِيئِيَّةِ، وما يُصاحِبُهَا من مِشاعِرِ الحَنِينِ. كما اسْتَعْمَلَ الكاتبُ مَنهَجَ التَّحْلِيلِ النَّفْسِيِّ لاسْتِنطاقِ لَواعِي الشَّخْصِيَّاتِ المُتَعَدِّدَةِ في الرِّوَايَةِ.

فِيما يَخْصُ التَّأثيرَ الجَلِي الذي تُلحِقُهُ الفَلَسَفَةُ بالأدب، نَجِدُ أَنَّ هَذِهِ الرِّوَايَةَ قَامَتْ في مُجْمَلِهَا عَلى مَفْهُومِ الزَّمَنِ، لَيْسَ بِالمَعْنَى الخَطِي والتَّعاقِبِي: ماضٍ، وحاضرٍ، ومُستقبلٍ، وإِنَّمَا بِالمَعْنَى الفَلَسَفِي، الذي تَتَعاشَرُ فِيهِ الأَزْمَنَةُ، إِنَّهُ الزَّمَنُ بِالمَعْنَى البَرغُسُونِي. فَقَدْ اسْتَوَحَى پُرُوسْتُ مَفْهُومَ الزَّمَنِ من هِنْرِي بَرغُسُونِ (Henri Bergson 1859-1941) لَمَّا قَرَأَ كِتابَهُ، وبِالْخِصُوصِ كِتابَهُ المَسْمُومِي: «مِقالَةٌ في المِعطِيَّاتِ المِباشِرَةِ للوَعِيِّ»، وَهُوَ البَحْثُ الذي نالَ بِهِ شِهادَةَ الدُّكْتُوراهِ، وَقَدْ تَعَرَّفَ پُرُوسْتُ عَلى بَرغُسُونِ شَخْصِيًّا بَعْدَ تَحاقِهِ بِجامِعَةِ السُّوربُونِ. لَقَدْ عَبَّرَ بَرغُسُونُ عَنِ مَفْهُومِ الزَّمَنِ من خِلالِ قَوْلِهِ: «إِنَّ الزَّمَانَ الحَقِيقِي يَكْمُنُ ويَوجَدُ في الوَعِيِّ المُرْتَبِطِ بِالانتِظارِ، إِنَّ الزَّمَانَ شَيْءٌ مُطْلَقٌ، لا يَقْبَلُ الامْتِدادَ، ولا يَقْبَلُ التَّقْسِيمَ، ولا يَقْبَلُ الاخْتِزالَ أو التَّحْدِيدَ. إِنَّهُ شَيْءٌ لا عِلاقَةَ لَهُ بِالزَّمَنِ كما عَرَفَهُ وحَدَّدَهُ العُلَماءُ».<sup>1</sup>

إِنَّ المَاضِي في رِوَايَةِ پُرُوسْتِ قَدْ يَكُونُ أَدْبِيًّا، إِذا اسْتَرَجَعَ بِكُلِّ تَفَاصِيلِهِ الدَّقِيقَةَ: «فَمِنَ مَنظُورِ پُرُوسْتِ، يَكْفِي حَدْثٌ واحِدٌ فقط لِيَبْقَى حَدْثًا مَاضِيًّا أَدْبِيًّا. إِنَّ هَذَا هُوَ مَفْهُومُ الزَّمَنِ الذي يُعَرَّفُ في الفَلَسَفَةِ المِعاَصِرَةِ بِاسْمِ الزَّمَنِ ذِي «الأَبْعَادِ الأَرْبَعَةِ»».<sup>2</sup> لَقَدْ سَرَدَ پُرُوسْتُ وَعاشَ في جِلِّ أَجْزاءِ هَذِهِ الرِّوَايَةِ الطَّوِيلَةِ أَحْدَاثَ مَاضِيهِ، فَهُوَ لَمْ يَنْقُلِها لِنَا كَخَبَرٍ مُسْتَقِلٍّ عَنِ الذَّاتِ كما يَفْعَلُ المُؤرِّخُ مَعَ المَاضِي، وإِنَّمَا نَقَلَ لِنَا هَذِهِ الأَحْدَاثَ كما عاشَها بِتَفَاصِيلِهَا الجَزِيئِيَّةِ. إِنَّ التَّارِيخَ الذي نَقَلَهُ پُرُوسْتُ لِنَا لَيْسَ هُوَ التَّارِيخُ المَوْضُوعِي، الذي يَبْحَثُ عَنِ الحَقِيقَةِ في المَوْضُوعِ الخَارجِي، وإِنَّمَا هُوَ تارِيخٌ ذاتِي، يَسْتَرَجِعُ العِواطِفَ، والمِشاعِرَ، والأحاسِيسَ، والأَسى، والذِّكْرِيَّاتِ...

فَفِي الجِزءِ الأَوَّلِ من هَذِهِ الرِّوَايَةِ، والذي عَنوانُهُ: «جانِبِ مَنازِلِ سِوان»، «تَبْدَأُ الجُمْلَةُ الأَوَّلِي مِنَ الرِّوَايَةِ بِعِبارَةِ «مِنذُ زَمَنِ بَعِيدٍ»، وتَنْتَهِى بِعِبارَةِ «زَمَنِ طَوِيلٍ»، مَرسُخَةً بِذَلِكَ ارْتِباطُها المَوْضُوعِي المُطْلَقِ «بِالزَّمَنِ»، إِلاَّ أَنَّ تَعْرِيفَ «الزَّمَنِ» قَدْ طَرَأَ عَلَيهِ تَغْيِيرٌ جِوهَرِي في تَعامُلِ پُرُوسْتِ مَعَ الحَرَكَةِ الزَّمَنِيَّةِ والتَّزَمُّنِيَّةِ لِلزَّمَنِ: إِنَّ «الزَّمَانَ» لَمْ يَعدْ مَحْصُورًا في تَقَدُّمِ خَطِي، وإِنَّمَا تَجاوزَ واقِعَهُ المَوْضُوعِي، وطالَ وقائِعَ نَفْسِيَّةِ، وخِيايَلِيَّةِ، وَعاطِفِيَّةِ ضَمِنَ نِطاقِهِ. يَنْظُرُ پُرُوسْتُ إِلى الزَّمَنِ عَلى أَنَّهُ «تَدَاخُلٌ مُترابِطٌ لِلحِظَاتِ لا يَمكُنُ تَمييزُ بَعْضِها عَنِ بَعْضٍ».

1- نَقَلَ عَنِ الأَسْتاذِ مُحَمَّدِ أَعْرابِ (بِتَصَرُّفٍ) في مِقالَتِهِ القِيَمَةِ: «مَفْهُومُ الزَّمَنِ في الفِكرِ الفَلَسَفِي المِعاَصِرِ: المِفاارِقاتِ والأَسْئَلَةُ»، المِجلَةُ المِغْرِبِيَّةُ لِلْفِكرِ المِعاَصِرِ، العِدادُ 2، يُونِيو 2018

باعتباره «مدة» أو «ديمومة» [كما عند هو الحال برغسون]، على عكس تجانس الزمن الخطي. إنَّ الماضي، والحاضر، والمستقبل تتداخل فيما بينها جميعاً، وترتبط بالمستوى الزمني نفسه.<sup>3</sup>

يمكن أن نضيف أن پروسْت قد تأثر بالجانب الروحي عند برغسون؛ لأنه بالرغم من كونه مسيحياً كاثوليكياً، وتم تعميده منذ أن كان رضيعاً، لكنَّ الممارسة الدينية لم تكن تشغل باله، ربما كان بعيداً عن الدين، ولم يخصَّص له سطوراً في روايته الطويلة. فمن المعروف أن له مذهباً أشبه ما يكون بالمذهب الصوفي. ألا يعتبر هذا من تأثير هنري برغسون فيه.

أمَّا فيما يخصُّ التأثير الخفي الذي يلحُّه الأدب بالفلسفة، فيتجلى في أن هذه الرواية كان لها تأثير في الفلاسفة الفرنسيين الفينومينولوجيين، قال ديفيد وودروف سميث: «انتقلت الفينومينولوجيا في ثلاثينيات القرن العشرين من الفلسفة النمساوية، ومن الفلسفة الألمانية إلى الفلسفة الفرنسية. وقد مهدت الطريق للفلسفة الفرنسية رواية مارسيل پروسْت التي عنوانها: «البحث عن الزمن المفقود»، حيث يحكي الراوي بتفصيل دقيق ذكرياته الحية المتعلقة بتجاربه من الماضي، بما في ذلك ارتباطاته الشهيرة برائحة كعك المادلين الطازجة.<sup>4</sup> فهذا النص شاهد على أن رواية مارسيل پروسْت كان لها مضمون فينومينولوجي خفي ومضمر سرعان ما انكشف لما تعرف الفلاسفة الفرنسيون على هذا المنهج، وبالخصوص جان پول سارتر، وموريس ميرلوبونتي، وسيمون دو بوفوار. وعلى الرغم من أن پروسْت كان أديباً، وروائياً، ولا يعتبر نفسه فيلسوفاً، إلا أنه قدَّم أفكاراً فلسفية في قالب أدبي، قال كريتنر: «على الرغم من أن پروسْت كانَ روائياً، ولم يكن فيلسوفاً ممارساً أو فينومينولوجياً قط، حسب ميرلوبونتي، إلا أنه قدَّم نموذجاً لكيفية «العودة إلى الأشياء ذاتها». ومع أن تأثير پروسْت واضح في كل أعمال ميرلوبونتي، إلا أن أوجه التشابه ملحوظة بشكل خاص في الفقرات التي تحدت فيها ميرلوبونتي عن تأثير السفر عبر إدراكنا للتجربة.<sup>5</sup> وعليه، فبالإضافة إلى كون رواية مارسيل پروسْت يكمن فيها مضمون فينومينولوجي؛ لأنها تجربة إدراكية للوعي، استعمل فيها ضمير المتكلم، فإنها تحتوي كذلك مضموناً وجودياً؛ لأنَّ التجربة التي يحكي عنها في روايته تجربة وجودية بامتياز مادامت تهتم بالوجود الذاتي، ولا تهتم بالموجود الموضوعي الخارج عن الذات الفردية.

3- Bakshi, Amrita., "Bergsonian Time in Marcel Proust Swann's Way: Interplay of Nostalgia and the Uncanny in the Mnemonic Experience", IWL C002: *Modern European Fiction*, 3<sup>rd</sup> October 2017, p.2: «The very first sentence of the novel begins with "for a long time", and also the novel ends with the phrase "a long time", thus establishing its absolute thematic fixation with 'time'. However, the definition of 'time' has undergone a fundamental change in Proust's treatment of the diachronic as well as the synchronic movement of the time: 'time' is no more bounded by a linear progression, rather it has transcended its objective reality and has included psychological, imaginary, and emotional realities within its ambit. Proust views time as "an interconnected interpenetration of moments that were indistinguishable from each other", as "duration" or "dureé" [Bergson], as opposed to the homogeneity of the linear clock-time. Past, present, and future – all three are overlapped and interconnected in the same temporal plane.»

4- سميث، ديفيد وودروف، «ماهي الفينومينولوجيا؟»، ترجمة أحمد فريحي، موقع مؤسسة مؤمنون بلا حدود، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، 2024-10-15. ص. 17.

5- Kreitner, R., "Mysterious Operation: Travel and Habit in Merleau-Ponty and Proust", *The Montréal Review*, October 2011

يبدو المنهج الذي تناول به **پروسْت** تحليل شخصياته في الرواية لا يختلف عن المنهج الذي سلكه الروائي الروسي **فيودور دوستويفسكي**، ويتعلق هذا المنهج بالتركيز على استنطاق الجوانب الدّاخلية للإنسان. لكن هذا التشابه بينهما يدفعنا إلى عقد مقارنة بينهما يتم من خلالها بيان ما اشتركا فيه، وما اختلفا فيه، والمشارك بينهما فيما له تأثير على الشخصية أكبر كما سيتضح.

إذا كان **پروسْت** قد أخذ من الفلسفة وأعطى للفلسفة، فإنّ الروائي الروسي **فيودور دوستويفسكي**، قدّم للفلسفة أكثر مما أخذ منها. وإذا كان **پروسْت** قد استعان بالتحليل النفسي، واخترق مكامن اللاوعي لشخصيات روايته، فإنّ **دوستويفسكي** يعد هو المؤسس الفعلي للتحليل النفسي، وذلك بشهادة رائده، **سيجموند فرويد** بنفسه، إذا صرح بأنّ كلّ اكتشاف توصل إليه في التحليل النفسي، إلاّ ووجد أنّ **دوستويفسكي** قد سبقه في الإشارة إليه، وبالخصوص في روايته الشهيرة: «الإخوة كارامازوف»، التي اعتبرها **فرويد** أهم رواية في الأدب. إنّ **پروسْت** كان يهوديا في الأصل، لأنّ أمه من أصل يهودي، إلاّ أنّه نشأ مسيحيا كاثوليكيا على خطى أبيه، ورغم ذلك، فإنّه لم يقم قديسا، ولا تطهّر، ولا أحيا شعائر في حياته داخل الكنيسة، ولا حضر الله في رواياته: «لقد نشأ **پروسْت** على عقيدة والده الكاثوليكية. وتمّ تعميده في السنّة التي ولد فيها، في الخامس من شهر غشت سنة 1871، في كنيسة القديس لويس دانتين، ثم أقرّ بأنّه كاثوليكيا، لكنّه لم يمارس ديانته الكاثوليكية رسميا، وأصبح فيما بعد ملحدًا وكان اعتقاده أقرب إلى نوع من التصوف.»<sup>6</sup> وهذا بخلاف **دوستويفسكي** الذي وُلد مسيحيا أرثوذكسيا، وآمن بالله، المسيح المتجسد، وكان لا يمل ولا يكلّ من قراءة العهد الجديد، ومارس الشعائر والطقوس الأرثوذكسية باستمرار. وإذا كان **پروسْت** طبيبا مختصا في علم الأوبئة، فإنّ والد **دوستويفسكي** كان طبيبا عسكريا. وإذا كان **پروسْت** قد عانى من نوبات الرّبو منذ أن كان له من العمر تسع سنين، فإنّ **دوستويفسكي** عانى هو كذلك من نوبات الصّرع ابتداءً من السنّة التي توفي فيها أبوه، وله ثمان عشرة سنة. وإذا كان **پروسْت** قد عاش مُنعزلا ومنطويا على نفسه، وبعيدا عن النّاس، ولم يتزوّج قط، فإنّ **دوستويفسكي** كان اجتماعيا، ولو أنّه كان في بعض الحالات يحس بالاغتراب، وأنّه تزوّج مرتين. وإذا كان **پروسْت** قد عاش طفولته داخل عائلة منسجمة وثرية وسعيدة، ممّا جعله يرغب في استرجاع لحظات وذكرىات الزّمن الماضي الجميل، فإنّ **دوستويفسكي** عاش طفولته في عائلة أقرب إلى الفقر منها إلى الثراء، وداخل حي لا يرى فيه إلاّ ألم الفقراء، ممّا جعله يصوّر الشرّ البشري، والحالات الفصامية والمرضية لشخصياته في جل رواياته. وإذا كان **پروسْت** قد فقد أباه، ثم أمه بعد سنتين، وله من العمر 34 سنة ليكون يتيم الأبوين، ومع كبر سنه تأثر كثيرا بموت والدته، التي تركته فريدا وعليلا، فإنّ **دوستويفسكي** فقد أمّه، ثم بعد سنتين فقد أباه، ولم يبلغ من العمر سوى 18 سنة ليكون يتيم الأبوين. وإذا كان **پروسْت** قد انضم إلى الجيش وهو عليل، فإنّ **دوستويفسكي** التحق بمدرسة عسكرية ليتخرج ضابطا، لكنّه غادرها، وكره النّظام العسكري. وإذا كان **پروسْت** قد دافع عن المظلومين، والباطسين، وصوّر ويلات الحرب العالمية الأولى في الجزء الأخير من روايته، دون أن ينخرط في العمل السياسي، مع أنه درس العلوم السياسة، فإنّ **دوستويفسكي** بدأ أول عمل روائي له برواية اسمها «الفقراء».

وَالَّتِي صَوَّرَ فِيهَا مَا لَمْ يَسْتَطِعِ الْفُقَرَاءُ أَنْفُسَهُمْ التَّعْبِيرَ عَنْهُ مِنْ آلامِ دَفِينَةٍ، وَانْخَرَطَ فِي جَمَاعَةٍ سَرِيَةٍ تَسَبَّتْ فِي سَجْنِهِ، وَأَدِينُ بِعَقُوبَةِ الْإِعْدَامِ، وَلَوْ لَا الْأَقْدَارُ الْخَفِيَّةُ الَّتِي أَنْجَتْهُ مِنْ تَنْفِيدِ هَذِهِ الْعَقُوبَةِ، لَمَا كُنَّا نَعْرِفُ أَدِيْبًا اسْمُهُ دُوسْتُوِيْفْسْكِي، وَتَجْرِبَةُ الْإِنْعِتَاقِ مِنَ الْإِعْدَامِ هَذِهِ رَسَخَتْ فِي قَلْبِهِ الْإِيمَانَ بِالْمَسِيحِ، وَجَعَلَتْ خِلَاصَهُ فِي الْحُبِّ الْمُتَفَاعِلِ، الَّذِي يَدِينُ بِهِ بَطْلَهُ أَلِيُوشَا، وَمَعْلَمُهُ زُوسِيمَا فِي رَوَايَةِ «الْإِخْوَةُ كَارَامَازُوفِ». وَإِذَا كَانَتْ تَجْرِبَةُ پُرُوسْتِ الْأَدْبِيَّةِ لَهَا عِلَاقَةٌ بِالْمَاضِي الْوَرْدِي فِي صُورَةٍ يَطْبَعُهَا التَّفَاؤُلُ عَلَى نَحْوِ عَامٍ، فَإِنَّ تَجْرِبَةَ دُوسْتُوِيْفْسْكِي الْأَدْبِيَّةَ كَانَتْ مَرْتَبُطَةً بِالْوَاقِعِ النَّفْسِيِّ الرَّمَادِيِّ، وَالْمَرِيضِ فِي صُورَةٍ دَرَامِيَّةٍ، وَيَطْبَعُهَا التَّشَاؤْمُ، وَعَذَابُ الضَّمِيرِ، وَالْإِحْسَاسَ بِالذَّنْبِ. وَإِذَا كَانَ پُرُوسْتِ قَدْ اخْتَرَقَ نَفْسِيَةَ الْإِنْسَانِ السَّوِيِّ، وَالْعَادِي، فَإِنَّ دُوسْتُوِيْفْسْكِي كَشَفَ الْغَطَاءَ عَنِ الْإِنْسَانِ الْمُنْقَسِمِ عَلَى ذَاتِهِ، وَالْفَصَامِيِّ فِي سُلُوكِهِ. وَإِذَا كَانَ پُرُوسْتِ يَجِدُ خِلَاصَهُ فِي الْجَمَالِ، فَإِنَّ دُوسْتُوِيْفْسْكِي يَجِدُ خِلَاصَهُ فِي التَّوْبَةِ، وَفِي حُبِّ النَّاسِ، وَحُبِّ اللَّهِ، الَّذِي يُحِبُّ الْجَمِيعَ.

إِنَّ الْحَدِيثَ عَنِ رَوَايَةِ «الْبَحْثُ عَنِ الزَّمَنِ الْمَفْقُودِ» لِمَارْسِيْلِ پُرُوسْتِ طَوِيلٌ، وَيَتَنَاوَلُ نِقَاطَ عَدَّةٍ، لِذَلِكَ ارْتَأَيْنَا أَنْ نَقْدِّمَ تَرْجَمَةً لِمَقَالَةٍ تَتَحَدَّثُ عَنِ هَذَا الْمَوْضُوعِ. فَهَذِهِ الْمَقَالَةُ الَّتِي سَنَتَرْجِمُ نَصَهَا مَفِيدَةٌ جَدًّا، وَتَقْدِّمُ لِلْقَارِئِ جَانِبِينَ حَوْلَ رَوَايَةِ پُرُوسْتِ: جَانِبٌ مَعْرِفِيٌّ يَتَعَلَّقُ بِأَجْزَاءِ الرُّوَايَةِ، وَتَلْخِيصٌ مَضَامِينِهَا، وَتَرْجَمَتُهَا إِلَى الْإِنْجِلِيزِيَّةِ، وَتَارِيخٌ كِتَابَتِهَا، وَتَارِيخٌ نَشْرُ كُلِّ جِزْءٍ... وَهَنَّاكَ جَانِبٌ نَقْدِيٌّ يَتَعَلَّقُ بِأَسْلُوبِ پُرُوسْتِ الْمُتَمَيِّزِ، مِنْ جِهَةٍ؛ وَالَّذِي طَغَى عَلَيْهِ الْإِسْهَابُ بَدَلًا مِنَ الْإِيْجَازِ، مِنْ جِهَةٍ ثَانِيَّةٍ. كَمَا تَبَرَّزُ الْمَقَالَةُ الشَّخْصِيَّاتِ الْأَدْبِيَّةِ وَالْفَلْسَافِيَّةِ الَّتِي أَثَرَتْ فِي پُرُوسْتِ، وَالَّتِي أَثَرَتْ فِيهَا. وَلِلْإِشَارَةِ، فَجَلُّ أَسْمَاءِ الْأَعْلَامِ الَّتِي ذُكِرَتْ فِي هَذِهِ الْمَقَالَةِ كُتِبَتْ عَلَى نَحْوِ خَاطِئٍ، وَقَدْ قُمْنَا بِتَصْحِيحِهَا، وَالتَّعْرِيفِ بِهَا، وَهَذَا الْخَطَأُ فِي نَظَرِنَا لَا يُفْقَدُ الْقِيَمَةَ الْعِلْمِيَّةَ لِلْمَقَالَةِ.

## الْمَقَالَةُ الْمُتَرْجَمَةُ:

**مارسيل بروس** (1871-1922)، الأديبُ الفرنسيُّ العظيمُ، هو مؤلفُ الرواية الأكثر شهرةً في العالم، والتي تحملُ اسم: «البحثُ عن الزمن المفقود». لم تُحقّقْ هذه الرواية الشهرة لكتابتها فحسب، وإنما حققتْ شهرةً أبديةً مُترجمها إلى اللُّغة الإنجليزية، الكاتبُ والأديبُ تشارلز كينيث سكوت مونكريف<sup>7</sup>، فقد ترجمها تحت عنوان: «ذكرى الأشياء الماضية». تضاربت الأقوالُ حولَ عدد أجزاء هذه الرواية. ففي الوقت الذي حدّد بعضهم أجزاءها في خمسة عشر جزء، اعتقدَ آخرون أنها تتألف من ستة عشر جزء، فيما يدعي آخرون أنها تتألف من سبعة عشر جزءً. لكنّ ما نُشرت، في آخر المطاف، صدرتْ في سبعة أجزاء، وتحتوي أربعة آلاف صفحة.<sup>8</sup> ويعدُّ هذا الإنجازُ في طول الرواية، حسب بعض نقاد الأدب، من الانتصاراتِ العظيمة في عالم الأدب.

استغرقَ نشرُ هذه الرواية كاملةً أربعَ عشرة سنة؛ أي من سنة 1913 إلى سنة 1927، وبعد خمس سنوات من وفاة مؤلفها **مارسيل بروس**، تمَّ نشرُ الأجزاء الثلاثة الأخيرة. وفي المقابل، أتمَّ تشارلز كينيث سكوت مونكريف التّرجمة الإنجليزية للرواية في تسع سنوات؛ أي من سنة 1922 إلى سنة 1931 تحت عنوان: «ذكرى الأشياء الماضية». لقد نقلَ تشارلز كينيث مونكريف أعمالَ **مارسيل بروس**، حسب بعض النقاد، نقلًا جيدًا للغاية، لدرجة أن ترجمته رفعتْ من شأنِ أعمالِ **بروست**، وجعلتْ مُعجبي الأدب الإنجليزي يتذكرونها على الدوام.

لا يشيرُ الزّمنُ في رواية **مارسيل بروس** إلى الحاضر، ولا يشيرُ إلى الماضي، ولا يشيرُ إلى المستقبل، ولا يشيرُ إلى زمنٍ مُحدّد -أي إنّه لا يشيرُ إلى الزّمن الذي يمكنُ عدُّه بالدقائق والساعات، ولا يُحدّد في فترة زمنية محدّدة؛ لأنّ الزّمن المُشار إليه في الرواية يشبهُ الزّمن في فلسفة **هنري برغسون**<sup>9</sup>، الفيلسوف الذي أثارَ في **بروست**. إنّ هذا الزّمنَ لا يمكنُ تحديده عقلياً، وعلى الرغم من أنّ العقلَ البشري يمكنه التأكد من وجود هذا الزّمن وتعالیه، فإنّه لا يملكُ المعايير والأدوات الميكانيكية لقياسه.

إنّ أحوالَ الفردِ وانفعالاته في هذا الزّمن، وردود فعله لما يقعُ الحدثُ يشيرُ إلى طولِ الفترة الزّمنية وقصرها. ولهذا، فإنّ **بروست** في رواية «البحث عن الزمن المفقود» ينتقلُ من التأملِ الخارجي إلى التأملِ الداخلي. مثله في ذلك مثلُ الكاتبِ الرّوسي **فيودور دوستويفسكي**، فبدلاً من كتابة آرائه الخاصة، يخترقُ نفوسَ شخصيات

7- **Charles Kenneth Scott Moncrieff** (1889-1930)، كاتب ومترجم من أصل اسكتلندي، اشتهر بترجمته لرواية **مارسيل بروس** «البحث عن الزمن المفقود» ترجمة إبداعية، مستلهما عنوانها من البيت الشعري الثاني من قصيدة **شكسبير** الثلاثون، لما ذكر عبارة «ذكرى الأشياء الماضية».

8- الترجمة العربية لجميع الأجزاء بلغت 2781 صفحة: الجزء الأول 777 صفحة، والجزء الثاني 372 صفحة، والجزء الثالث 414 صفحة، والرابع 344 صفحة، والجزء الخامس 292 صفحة، والجزء السادس 242 صفحة، والجزء السابع 340 صفحة. (المترجم). وبفارق ليس بالقليل، بلغ عدد صفحات الترجمة الإنجليزية لكل الأجزاء 2718 صفحة: الجزء الأول 325 صفحة، والجزء الثاني 386 صفحة، والجزء الثالث 824 صفحة، والجزء الرابع 378 صفحة، والجزء الخامس 289 صفحة، والجزء السادس 244 صفحة، والجزء السابع 272 صفحة.

9- **Henri Bergson** (1859-1941)، فيلسوف فرنسي، يعتبر من أهم الفلاسفة الفرنسيين الذين أبدعوا فلسفة مستقلة، لها مفاهيمها، وقضاياها الخاصة. من أهم مؤلفاته: «الزمن وحرية الإرادة» الذي صدر سنة 1889، وهذا الكتاب بالذات أثر بشكل كبير في **مارسيل بروس**، ومنه استلهم مفهوم الزمن في روايته، ثم كتاب «المادة والذاكرة» الذي صدر سنة 1896، وكتاب «مصدران للأخلاق وللدين» الذي صدر سنة 1932



روايته، ويصوّر ردودَ أفعالهم العاطفية. إلّا أنّ الفارق بين بروسْت ودوستيوفسكي يتجلى في أنّ هذا الأخير كان يُصوّر النفوس الشاذة والمريضة، بينما كان بروسْت مولعاً بتصوير ذوي النفوس السوية، وذوي المزاج المتوازن.

لقد سجّل بروسْت في هذه الرواية تجاربه، ومن خلالها رسّخ تجارب حياته. فكلُّ حادثة صغيرة تأخذه إلى ماضيه. يتحدّث في هذه الرواية عن استحالة تحقيق الحياة الفانية، ويتحدّث عن الصراعات الإنسانية السخيفة، وعن سيطرة الخطيئة، وعن خيبة الأمل، وعن افتقار الحب إلى وسائله الحقيقية. ومن خلال هذا يخلّص إلى أنّ حياة الإنسان لها أهمية كبيرة؛ لأنّ الحياة على الرغم من كلِّ الصعوبات والمشاكل التي تطبّعها، فإنّها تبقى مليئةً بالجمال الداخلي، وبالملاذات التي يتوقُّ إليها الإنسان. يتمتّع بروسْت بأسلوبٍ فريدٍ في كتابة هذا الرواية، وقد اتبع أسلوبَ أدباء آخرين ينتمون إلى المدرستين الكلاسيكية والرّمزية. فقد طرح دينيس سورات 1946،<sup>10</sup> أستاذ الأدب الفرنسي في جامعة لندن، ومؤلف كتاب: «الأدب الفرنسي الحديث»<sup>11</sup>، آرائه حول بروسْت في أحدِ فصول هذا الكتاب، ورفعته إلى مرتبة مساوية للمسرحي والشاعر ولويم شكسبير في الأدب الإنجليزي. كما أشاد بخبرة بروسْت في كتابة الرواية، واعتبره الروائي الكبير بعد الروائي الأكبر هنري دو بلزاك<sup>12</sup>.

يتصرّف بروسْت من خلال رؤيته الداخلية للإنسان كخبير نفسيّ، ويتقن التحليل النفسي للإنسان الطبيعي والسوي، ويدوّن بعبقريته العميقة أفكار وسلوكيات شخصيات روايته. إنّه يخترق مجال اللاوعي لديهم، ولا ينسى السمات الداخلية لشخصيات روايته. إنّه ينقل الأفكار الإنسانية إلى قرائه بكفاءة عالية.

استناداً إلى دوروثي بروسْت وأغنوس بوريل<sup>13</sup>، الأستاذان بجامعة كولومبيا، ومؤلفا كتاب: «الخيال العالمي الحديث»، فإنّ بروسْت كان يبحث عن خلاصه. إنّه كان يبحث عن مثل هذه القيم، التي يمكن للزمن والتغيّر أن يقضي عليها بسهولة.<sup>14</sup>

إنّ هذا الخلاص يمكن أن يكون صوفياً، ويؤدي إلى السلام الداخلي، الذي يدفع الإنسان نحو الأبدية. لقد انتقد بروسْت في هذا الرواية، على نحو ضمني، الظروف الاجتماعية في فرنسا في أواخر القرن التاسع عشر. فروايته بمثابة رثاء، وملحمة للحياة البشرية؛ إذ يُحاول أن يفسرها من خلال التحليل النفسي ومعالجة قضايا من قبيل: الفن، والحياة، والمجتمع، والربط السابق بذكرياتها، إنّه يريد تحويل كلِّ الأشياء الفانية إلى أشياء خالدة، ويريد تنوير كلِّ ما هو مظلم وغامض.

10- Denis Saurat (1890-1958)، كاتب وناقد أدبي فرنسي، له مؤلفات أدبية ونقدية عديدة.

11- Saurat, D., *Modern French Literature*, London: J. M. Dent, 1945. p.116

12- Honoré de Balzac (1799-1850)، أديب وروائي فرنسي، له تراث روائي وقصصي غزير أغنى به الأدب الفرنسي وجعله يتبوأ الصدارة ضمن الأدب العالمي.

13- Dorothy Brewster و Angus Burrell. مؤلفا كتاب «الخيال العالمي الحديث»، صدر هذا الكتاب سنة 1951.

14- Dorothy Brewster & Angus Burrell., *Modern World Fiction*: Littlefield, U.S.A: Adams & Co, 1960. p.142

تتألف رواية «البحث عن الزمن المفقود» من سبعة أجزاء، يتناول كل جزء منها موضوعاً منفصلاً، والأجزاء السبعة يمكن عرضها كالتالي:

**الجزء الأول:** عنوانه الأصلي بالفرنسية: «**Du côté de chez Swan**»؛ أي «جانب منازل سوان»<sup>15</sup>، والترجمة الإنجليزية لهذا الجزء عنوانها: «**Swan's Way**». يعدّ هذا الجزء سيرة ذاتية لعاشق يدعى سوان، وتتعلق هذه السيرة بطفولة مارسيل بروسْت. نشرت الترجمة الإنجليزية بدار النشر فينتيخ، وتحتوي 325 صفحة.

**الجزء الثاني:** عنوانه الأصلي بالفرنسية: «**à l'ombre des jeunes filles en fleurs**»؛ أي «في ظلال ربيع الفتيات»<sup>16</sup>، وعنوان ترجمته الإنجليزية: «**Within a budding Grove**»، وهو الجزء الذي نال به بروسْت جائزة أدبية سنة 1918.<sup>17</sup> يسرد هذا الجزء سيرة مارسيل بروسْت في سن المراهقة. تتألف الترجمة الإنجليزية التي نشرتها دار فينتيخ للنشر من 386 صفحة.

**الجزء الثالث:** عنوانه الأصلي بالفرنسية: «**Le côté de Guermantes**»؛ أي «جانب منزل غرامنت»<sup>18</sup>، وعنوان ترجمته الإنجليزية «**Guermantes Way**» يحكي هذا الجزء عن النبلاء الذين يطلق عليهم اسم **The Guermantes**. وتدور هذه القصة حول فشل بروسْت في حب فتاة جميلة ونبيلة تدعى ألبرتين. نشرت الترجمة الإنجليزية بدار النشر شاتو وويندوس بلندن، وصدرت في مجلدين، وتتألف من 824 صفحة.

**الجزء الرابع:** عنوانه الأصلي بالفرنسية: «**Sodome et Gomorrhe**»، أي «سدوم وعمورة»<sup>19</sup>، وعنوان ترجمته الإنجليزية: «**Cities of the Plain**». في هذا الكتاب ينظر بروسْت إلى المجتمع الفرنسي في أواخر القرن التاسع عشر وكأنه القريتين اللتين ذكرتا في التوراة، واللذان تدعى سدوم وعمورة، لقد نزل العقاب عليهما

15- Proust, M., *Du côté de chez Swan*, Grasset, 1913. English translation by Charles Kenneth Scott Moncrieff and revised by D. J. Enright: *Swan's Way*, The Modern Library, New York, First Edition, 1928

ترجمت هذا الجزء من قبل إلياس بديوي تحت عنوان: **جانب منازل سوان**، دار شرفيات للنشر والتوزيع، 1994

16- Proust, M., *A l'ombre des jeunes filles en fleurs*, NRF, 1918. English Translation by Charles Kenneth Scott Moncrieff and illustrated by Philippe Jullian: *Within a budding Gove*, Chatto & Windus, London, 1960. First edition in 1924

ترجمت هذا الجزء من قبل إلياس بديوي تحت عنوان: **في ظلال ربيع الفتيات**، دار شرفيات للنشر والتوزيع، 1994.

17- حصل على جائزة غونكور سنة 1918، وهي جائزة أدبية أحدثت سنة 1892 باسم الأديب الفرنسي إدموند غونكور.

18- Proust, M., *Le coté de Guermantes I et II*, NRF, 1921-1922. English translation by Charles Kenneth Scott Moncrieff: *The Guermantes Way*, First Edition in 1925

ترجمت هذا الجزء من قبل إلياس بديوي تحت عنوان: **جانب من منزل غرامنت**، دار شرفيات للنشر والتوزيع، 1994.

19- Proust, M., *Sodome et Gomorrhe I et II*, NRF, 1922-1923. English translation by Charles Kenneth Scott Moncrieff: *Cities of the Plain (Sodom and Gomorrah)*, First Edition in 1927.

ترجمت هذا الجزء من قبل إلياس بديوي تحت عنوان: **سادوم وعمورة**، دار شرفيات للنشر والتوزيع، 1994

**سدوم وعمورة** قريتان فاسقتان من قوم لوط حسب التوراة (سفر التكوين)، وقد عقابها الله عقاباً شديداً، وأنجى لوطاً وأتباعه.

من السَّماء نتيجة الآثام والخطايا والأفعال الشنيعة التي أرتكبها أهلها. نُشرت ترجمته الإنجليزية عن دار النشر فينتيغ، وتتكون من 378 صفحة.

**الجزء الخامس:** عنوانه الأصلي بالفرنسية: «**La Prisonnière**»؛ أي «السَّجِينَةُ»<sup>20</sup>، وعنوان ترجمته الإنجليزية: «**The Captive**». يحكي هذا الجزء قصة الأحداث المختلفة التي وقعت خلال فترة مرافقة **پروسْت** والصُّعوبات التي واجهتها **أَلْبَرْتِين** في بيته. نُشرت ترجمته الإنجليزية بدار النشر فينتيغ، وتتألف من 289 صفحة.

**الجزء السادس:** العنوان الأصلي لهذا الجزء هو «**Albertine Disparue**»<sup>21</sup>؛ أي «**أَلْبَرْتِين المُخْتَفِيَةُ**»، وعنوان ترجمته الإنجليزية: «**The Sweet Cheat Gone**». يتحدث هذا الجزء عن وفاة **أَلْبَرْتِين** - عشيقه **پروسْت** وتتضمن تحليلاً نفسياً لحب **پروسْت** لها. وتتألف الترجمة الإنجليزية من 244 صفحة.

**الجزء السابع:** عنوانه الأصلي بالفرنسية: «**Le Temps Retrouvé**»؛ أي «**الزَّمَن المَسْتَرَجَع**»<sup>22</sup>، وعنوان ترجمته الإنجليزية: «**The Past recaptured**». يحكي هذا الجزء عن السنوات الأولى من الحرب العالمية الأولى، وعن التَّغْيِرات الهائلة التي طرأت على حياة شخصيات هذه الرواية. ينجح المؤلف بتفكيره العميق، وتحليله الدَّائِي في فتح آفاق جديدة للأفكار الارتباطية السابقة، وجعل حياته الضائعة خالدة بطريقة فنية. نُشرت الترجمة الإنجليزية لهذا الكتاب عن دار فينتيغ والتي تتكون من 272 صفحة.

لقد حاول **پروسْت** في أغلب الأجزاء التي تناولناها آنفاً أن يفسِّر فشلَ وحيرةَ شخصيات رواياته، وفي بعض الأجزاء يروي أحداثاً من ماضي مرافقته وشبابه. إنَّ **پروسْت** إنسانٌ متفائلٌ على العموم، لكنَّه في بعض الأحيان يبدو متشامماً ويائساً؛ فهو يتحدث أحياناً عن الانحطاط الأخلاقي، ويتحدَّث عن الشُّذُوذ الجنسي في مجتمعه، ويكشف، أحياناً، عن الذات الدَّاخِلية للإنسان، وعن حسد هذا الإنسان، وعن شكوكه، وعن خيبات أمله، وعن دناءته.

لقد تحدَّث في الجزء السَّابع عن آثار الحرب الأولى، وتحدَّث عن الواجبات، وعن الخيانة، بالإضافة إلى التَّغْيِرات التي نتجت عن هذه الحرب.

20- Proust, M., *La prisonnière*, NRF, 1923. English translation by Charles Kenneth Scott Moncrieff: *The Captive*, First Edition in 1929

ترجمت هذا الجزء من قبل إلياس بدوي تحت عنوان: **السَّجِينَةُ**، دار شرقيات للنشر والتوزيع، 2001.

21- Proust, M., *Albertine disparue* (La fugitive), 1925. English translation by Charles Kenneth Scott Moncrieff: *The Sweet Cheat Gone* (The Fugitive), First edition in 1930

ترجمت هذا الجزء من قبل جمال شحيد تحت عنوان: **الشاردة** أو **(أَلْبَرْتِين المُخْتَفِيَةُ)**، دار شرقيات للنشر والتوزيع، 2003

22- Proust, M., *Le temps retrouvé*, NRF, 1927. English translation by Charles Kenneth Scott Moncrieff: *Time Regained*, First Edition in 1931

ترجمت هذا الجزء من قبل جمال شحيد تحت عنوان: **الزَّمَن المَسْتَعَاد**، دار شرقيات للنشر والتوزيع، 2005

تتضمن رواية مَارْسِيلِ پْرُوسْتِ الخالدة «البحث عن الزمن المفقود» بعض الميزات المهمة، والتي يمكننا مناقشتها انطلاقاً من العناصر الآتية:

تجدر الإشارة إلى إن لغة هذه الرواية صعبة جداً، ويبدو أن پْرُوسْتِ لم يراجع أسلوبه في الكتابة؛ إذ يتضمن جملاً طويلة في كل الأجزاء السبعة، كما أنه لم يحاول تحسين هذا الأسلوب بكتابة جمل قصيرة، يمكن فهمها بسهولة. ففي بعض الأحيان، تطال جملته الطويلة والمملة الصفحة بأكملها بدون نهاية.

لا يفكر پْرُوسْتِ في اتجاه مُحدّد، ولا يمتلك فكراً محورياً، وبالتالي، فإنه لا يستطيع التركيز على اتجاه واحد، أو على موضوع واحد. ويرى العديد من النقاد أن مَارْسِيلِ پْرُوسْتِ لو كان على قيد الحياة بعد نشر روايته، لحذف على نحو أكيد بعض الأجزاء منها، وبهذه الطريقة كان ليختصر الأجزاء السبعة في خمسة أجزاء.

يقول دينيس سورات في كتابه «الأدب الفرنسي الحديث»<sup>23</sup> إن الإسهاب كان سمة من سمات الكتابة لدى الروائيين الفرنسيين ابتداءً من منتصف القرن الثامن عشر. فعشرة في المائة فقط من الموضوعات هي التي تستحق القراءة، والباقي مجرد فضلة، وحديث فارغ. فرواية فيكتور هيغو<sup>24</sup> الشهيرة «البائسون»، على سبيل المثال، إذا تم حذف بعض النصوص منها، فلن يؤثر ذلك في مضمون الرواية، ولا يؤثر في فن الكتابة عند مؤلفها. ومع ذلك، فقد كان پْرُوسْتِ روائياً بارزاً، وله أسلوب منفرد. لقد اجتذب إبداعه في أسلوب الأدب الفرنسي العديد من الكتاب الفرنسيين والعالميين المشهورين مثل جاك دو لاكريتل<sup>25</sup>، وأندري جيد<sup>26</sup>، وفيرجينيا وولف<sup>27</sup>، وأنتوني باول<sup>28</sup>.

ناقش پْرُوسْتِ العديد من القضايا في روايته، لقد عالج على سبيل المثال قضية دريفيس<sup>29</sup> الضابط الفرنسي ذو الأصول اليهودية، والمتهم الذي تم نفيه إلى جزيرة خالية بسبب ادعاء أنه كان جاسوساً لصالح الألمان. لقد اعتبر پْرُوسْتِ هذا الضابط بريئاً، وبمساعدة نبلاء آخرين مثل إميل زولا<sup>30</sup> الذين وقفوا ضد الحكومة الفرنسية، وبمساعدة محامي الدفاع عن دريفيس، كتب السيد لابوري بياناً وحصل على توقيعه من أنصار دريفيس الذين كانوا في الغالب من البرجوازيين. وفي النهاية، تم تعديل مجرى محاكمة الضابط المتهم وأدى ذلك إلى تحريره.

Saurat, D., *Modern French Literature*, pp.95-97 -23

Victor Hugo (1802-1885)، أديب فرنسي، يعتبر من أشهر الروائيين والشعراء الفرنسيين. -24

Jaques de Lacretelle (1888-1985)، كاتب فرنسي، وزير الإنتاج الأدبي. -25

André Gide (1869-1951)، أديب وروائي فرنسي، حاصل على جائزة نوبل في الآداب سنة 1947 -26

Virginia Woolf (1882-1941)، أديبة إنجليزية، لها روايات وكتابات إنشائية متعددة. -27

Anthony Powell (1905-2000)، أديب، وروائي، وناقد أدبي من أصل بريطاني. -28

Alfred Dreyfus (1859-1935)، ضابط في الجيش الفرنسي، من أصول يهودية، اتهم بالجاسوسية لصالح ألمانيا سنة 1894، واعتبرت قضيته من أشهر القضايا المطروحة على العدالة الفرنسية، تضامن معه مثقفون وكتاب من بينهم مَارْسِيلِ پْرُوسْتِ. -29

Emile Zola (1840-1902)، أديب، وروائي فرنسي، له تأثير كبير في المجتمع الفرنسي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. -30

كما لا ننسى الموضوع الثاني في الجزء السَّابع من روايته، وهو موضوع مهم للغاية، ويتعلق بآثار الحرب العالمية الأولى ونتائجها المؤسفة مثل الموت، والتشرد، والبؤس، والجوع، والفقر، والأسر، والتعذيب، وسوء المعاملة، والانتهازية البشرية.

وُلِدَ مَارْسِيلُ بَرُوسْتِ فِي أُسْرَةٍ يَهُودِيَّةٍ، لَكِنَّهُ كَانَ مَسِيحِيًّا. وَكَانَ الْبَيْتُ الَّذِي تَرَبَّى فِيهِ خَالِيًّا مِنَ الْمَشَاكِلِ الدِّيْنِيَّةِ، لِأَنَّ وَالِدَتَهُ الْيَهُودِيَّةَ وَوَالِدَهُ الْمَسِيحِيَّ قَرَّرَا تَجَنُّبَ الْمُنَاقَشَاتِ الدِّيْنِيَّةِ فِي بَيْتِهِمَا. وَتُظْهِرُ حَيَاةَ بَرُوسْتِ أَنَّ الْمَسِيحِيَّةَ كَانَتْ لَهَا تَأْثِيرٌ كَبِيرٌ فِي حَيَاتِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ مِنَ الْغَرِيبِ جَدًّا أَنَّ مَفْهُومَ اللَّهِ لَا يُوجَدُ فِي كِتَابَاتِهِ، وَلَا يُوجَدُ فِي مَعْتَقَدَاتِهِ. وَمَعَ ذَلِكَ، يُمْكِنُنَا الْقَوْلُ إِنَّهُ يَهْتَمُّ بِالْجَمَالِ، فحَيْثَمَا يُوجَدُ الْجَمَالُ، يَكُونُ إِلَهُهُ حَاضِرًا.

إِنَّ تَأْثِرَهُ بِاللَّوَاغِيِّ عِنْدَ فَرُويِد<sup>31</sup>، وَمِيْلَهُ إِلَى حَالِ النِّيرْفَانَا الْبُودِيَّةِ<sup>32</sup>، وَطَرِيقَةَ تَفْكِيرِهِ مِنْ خِلَالِ مَفْهُومِ الزَّمَنِ الَّذِي اسْتَلْهَمَهُ مِنْ أَسْتَاذِهِ الْفِيلَسُوفِ هَنْرِي بَرُغْسُونِ، لَقَدْ اسْتَفَادَ مِنْ كُلِّ هَذَا فِي كِتَابَاتِهِ بِطَرِيقَةٍ يِقْظَةُ، وَفِي أَثْنَاءِ فَهْمِهِ لِلْإِنْسَانِ رَكْزَ عَلَى الذَّاتِ الْبَشَرِيَّةِ الدَّاخِلِيَّةِ وَليْسَ عَلَى ذَاتِهِ الْخَارِجِيَّةِ.

لَقَدْ كَانَ بَرُوسْتِ كَاتِبًا عَمِيقًا وَمَفْكَرًا مَثَقَفًا تَأْثَرَ بِمَدَارِسِ أَدْبِيَّةٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنَ الْمَفْكَرِينَ وَالْعُلَمَاءِ. فَعَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ، فِي الْكِتَابَةِ السَّاخِرَةِ وَالْفَكَاهَةِ، أَعْجَبَ بِشَخْصِيَّتَيْنِ مَشْهُورَتَيْنِ تَنْتَمِيَانِ إِلَى الْقَرْنِ السَّابِعِ عَشَرَ، وَهُمَا الدُّوقُ لُويْسُ رُوفُروي دُو سَانِ سِيْمُون<sup>33</sup> (1755-1675) السُّكُولَائِي الْمَشْهُورُ، وَالْكَاتِبُ فِي بِلَاطِ لُويْسِ الرَّابِعِ عَشَرَ، وَالَّذِي يَنْتَمِي إِلَى الْمَدْرَسَةِ الْكَلَّاسِيكِيَّةِ الْجَدِيدَةِ. كَمَا تَأْثَرَ بِالْكَاتِبَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ مَارِي دُو رَابِيْتَانِ - شَانْتَال<sup>34</sup> الَّتِي عَاشَتْ فِي الْقَرْنِ السَّابِعِ عَشَرَ، وَكَانَتْ إِحْدَى رُؤَادِ الْمَدْرَسَةِ الرُّومَانْسِيَّةِ - وَتَأْثَرَ كَذَلِكَ بِالْأَدِيبِ فَرَانْسُوَا رِيْنِيَّةِ دِي شَاتُوبْرِيَانِ<sup>35</sup> (1848-1768) الَّذِي كَتَبَ رَوَايَةَ بِعَنْوَانِ «مَذْكَرَاتُ مَنْ وَرَاءَ الْقَبْرِ».

تَتَأَلَّفُ هَذِهِ الرُّوَايَةُ مِنْ سِيْرَةٍ ذَاتِيَّةٍ لِلْكَاتِبِ مِنْذُ طُفُولَتِهِ حَتَّى أَصْبَحَ كَاتِبًا مَشْهُورًا. وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ الرُّوَايَةَ أَثَّرَتْ فِي بَرُوسْتِ أَثْنَاءَ كِتَابَتِهِ لِرَوَايَةِ «الْبَحْثُ عَنِ الزَّمَنِ الْمَفْقُودِ». وَمِنْ بَيْنِ الْكُتَّابِ الْآخَرِينَ الَّذِينَ أَثَرُوا إِعْجَابَ بَرُوسْتِ نَجْدُ جِيرَارْدِ دُو نِيرْفَال<sup>36</sup> (1855-1808) الَّذِي كَانَ مِنْ أَتْبَاعِ الْمَدْرَسَةِ الرَّمْزِيَّةِ وَالسُّرِّيَالِيَّةِ فِي الْقَرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ. لَقَدْ كَتَبَ هَذَا الْأَدِيبُ مَجْمُوعَةً مِنَ الرُّوَايَاتِ الشُّعْرِيَّةِ تَحْتَ عَنْوَانِ «بَنَاتُ نَارِ - سِيلْفِي» وَقَامَ بَرُوسْتِ بِاقْتِبَاسِ جُزْءٍ مِنْ سِيْرَتِهِ الذَّاتِيَّةِ مِنَ الرُّوَايَةِ الشُّعْرِيَّةِ الْمُسَمَّاةِ سِيلْفِي.

31- Sigmund Freud (1856-1939)، طَبِيبُ نَفْسِيٍّ مِنْ أَسْلِ نَمْسَاوِيٍّ، اشْتَهَرَ بِنَظَرِيَّةِ الْوَاغِيِّ، وَبِنَظَرِيَّةِ التَّحْلِيلِ النَفْسِيِّ الَّتِي تَسْتَعْمَلُ التَّدَاعِيَّ الحَرَّ فِي الْعِلَاجِ.

32- هِيَ مَطْلَبُ الْخِلَاصِ عِنْدَ الْبُودِيَّيْنَ، لِمَا تَخْمَدُ كُلَّ الرِّغَابَاتِ الْجِيَاشِيَّةِ

33- Louis de Rouvroy Duc de Saint-Simon (1755-1675)

34- Marie de Rabutin-Chantal (1626-1696)، أَدِيبِيَّةٌ، وَكَاتِبَةُ رِسَائِلٍ مِنْ أَسْلِ فَرَنْسِيٍّ.

35- François-René de Chateaubriand (1768-1848)، أَدِيبٌ، وَمُصَلِّحٌ أَخْلَاقِيٌّ، وَرَجُلٌ سِيَاسِيٌّ فَرَنْسِيٌّ، يَنْتَمِي إِلَى الْمَدْرَسَةِ الرُّومَانْسِيَّةِ.

36- Gérard de Nerval (1808-1855)، شَاعِرٌ، وَرُؤَائِيٌّ، وَمُتَرْجِمٌ فَرَنْسِيٌّ، يَنْتَمِي إِلَى الْمَدْرَسَةِ الرُّومَانْسِيَّةِ.

كما تأثر **پروست** كذلك برواد المدرسة الواقعية مثل **غوستاف فلوبر**<sup>37</sup>، و**شارل أوغستين**<sup>38</sup>، و**هيبوليت تين**<sup>39</sup>، و**برواد المدرسة الطبيعية** مثل **هنري دو بالزك**، و**أميل زولا**. ومن خلال هذين الكاتبين من المدرسة الطبيعية، أصبح **پروست** على علم بالقضايا التي تطرحها التوراة، وفهم تأثير المجتمع على حياة الإنسان.

لقد اختار الروائي الروسي **فيودور دوستويفسكي** (1821-1881) اتجاه التحليل الداخلي في رواية «الإخوة كارامازوف» ورواية «الجريمة والعقاب»، وقد جذب هذا الأسلوب **پروست** نحو العالم المعقد للعقل البشري، كما استعمل منهج **فرويد** في «التحليل النفسي».

لقد ألهمت معرفة **پروست** بأفكار **إيمانويل كانط**<sup>40</sup> الاستفادة من مدرسة الرّمزية. كما ألهم **إيمانويل كانط** الشاعرين الفرنسيين **آرثر رامبو**<sup>41</sup> و**شارل بودلير**<sup>42</sup>. وتعكس رواية **پروست** تأثير كل المدارس الفكرية الأدبية المهمة تقريباً. لكنّ الفيلسوف الذي غير تفكيره حقاً هو الفيلسوف الفرنسي **هنري برغسون** من خلال كتابه: «مقالة في المعطيات المباشرة للوعي»<sup>43</sup>.

لمّا نُشر هذا الكتاب، لم يكن **پروست** يعرف كاتبه، ومع ذلك قرأه، وقد ألهمه هذا الكتاب إلى الحد الذي جعله يلتحق بجامعة السوربون ويتسجل في قسم العلوم السياسية، وهناك تعرف على **برغسون** شخصياً، ومن ثمّ قرّر أن يؤسس روايته على فرضية **برغسون** التي تعني خطة مرور الزمن، والحركة المستمرة، وتحوّل شخصية الفرد، واسترجاع اللاوعي، كما في رواية «البحث عن الزمن المفقود»، التي تُسهم كغيرها من أشهر الروايات العالمية، في زيادة معرفة القارئ بالعالم الخارجي الواسع.

ينتقد **پروست** فئة اجتماعية، ويعرضها لنا على أنّها فئة متغصّرة وراضية عن نفسها. وتوجد كذلك فئة انتهازية ومتأمرة، وفي نفس الوقت يقدم لنا فئة مثقفة تتقدّم إلى الأمام لتحقيق الكمال، وتعاني من الدّناءة في الوقت نفسه. لكن كل هذا يوفر الوعي بالعالم الخارجي، والموضوع الرئيس لرواية «البحث عن الزمن المفقود» هو جعلنا على دراية بالعالم الداخلي. تساعدنا هذه الرواية ذات الأبعاد المتعددة على فهم أنفسنا. وهناك عدد قليل من القراء الذين بعد قراءة هذه الرواية بعمق لا يستعيدون ماضيهم، ولا يستكشفون ذاتهم الداخلية.

37- **Gustave Flaubert** (1821-1880)، من أشهر الروائيين الفرنسيين في القرن التاسع عشر، اشتهر برواية «مدام بوفاري»، التي صدرت سنة 1857

38- **Charles Augustin Sainte-Beuve** (1804-1869)، كاتب، وناقد أدبي فرنسي.

39- **Hippolyte Taine** (1828-1893)، فيلسوف، ومؤرخ، وناقد أدبي فرنسي.

40- **Immanuel Kant** (1724-1804)، فيلسوف ألماني، اهتم بقضايا المعرفة والأخلاق.

41- **Arthur Rimbaud** (1854-1891)، شاعر فرنسي، ينتمي إلى المدرسة السريالية.

42- **Charles Baudelaire** (1821-1867)، شاعر، وناقد أدبي وفني من أصل فرنسي، اشتهر بديوانه الشعري «أزهار الشر».

43- هذا الكتاب أطروحة تقدم بها **هنري برغسون** لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة سنة 1889، تحت عنوان «مقالة في المعطيات المباشرة للوعي» «*Essai sur les données immédiates de la conscience*».

لقد كان **پروست** طفلاً محظوظاً للغاية، فقد وُلد في عائلة برجوازية ثرية في العاشر من شهر يوليو سنة 1871. كان والده طبيباً مشهوراً يُدعى الدكتور **أدريان پروست**، وكانت والدته **جين ويل** سيدة يهودية ثرية. لقد عاشوا حياة رغبة. لقد ورث **پروست** الفضول لمعرفة المُشكلات العلمية من والده، وورث حبَّ الجمال، والحساسية، وسرعة الانفعال من والدته. لقد كان عزباً طوال حياته، ولم يحبَّ امرأةً من كلِّ قلبه على الإطلاق. وبسبب مرض الرُّبو لم يكن يحبُّ الصُّوضاء المزعجة. لذلك غطى منزله بأغطية من الفلين لتجنب الصُّوضاء. ولم يفتح نوافذَ غرفته أبداً، حتَّى لا تنتشر رائحة الطَّعام في بيته. لقد رتب الطَّعام من الفندق، وكان يشعرُ بالاكْتئاب في الليل بسبب العُزلة والكتابة الروائية الشَّاقة. وكان يمشي على الطَّرِيق في الوقت الذي لا يكون هناك صخب ولا ضجيج.

لقد قضى **پروست** معظمَ وقته في كتابة روايته «البحث عن الزمن المفقود». وعلى غرار كلِّ الأدباء المشهورين، لم يقبل أيُّ ناشر نشر الجزء الأول من روايته. ولم يفكر الناشر في نشر هذا الجزء من روايته، واعتقدوا أنه لن يحقق لهم مبيعات كبيرة. وفي الأخير نشرَ هذا الجزء على نفقته الخاصة. وبسبب الحرب العالمية الأولى، التي اندلعت سنة 1914، كان له متسعٌ من الوقت لتحرير هذا الرواية، واستمرَّ هذا التحرير حتَّى نهاية حياته. ولو عاش طويلاً، فمن المفترض أنه كان سيُدخلُ تعديلات كبيرة على نصوص روايته، وهذا كان سيقلل من عددِ أجزاءها.

يقال: إنَّ **ستيفان مالارمي**<sup>44</sup>، الشَّاعر والكاتب، ورائد مدرسة الرَّمزية كان يبحثُ عن الخلود، لكنَّه لم يستطع الوصول إليه قط. ويرى **مارسيل پروست** أنَّ من يبحثُ عن ذكرى الماضي، فإنَّه سيظلُّ يبحثُ عن الخلود. واستناداً إلى العديد من النُّقاد، فإنَّ **پروست** على عكس **مالارمي** قد وصل إلى الخلود. وبغض النظر عن هذا، فقد وصل إلى الخلود في روايته من خلال الوصول إلى اللاوعي عند كلِّ النَّاس، في فرنسا، وفي العالم. ولهذا، فإنَّ عمَله يعتبر عملاً ناجحاً بنفس القدر الذي نجحتُ به الأعمال الأدبية في العالم.<sup>45</sup>

44- Stéphane Mallarmé (1842-1898)، شاعر وناقد أدبي فرنسي، ينتمي إلى المدرسة الرمزية.

45- Encyclopedia Britannica, Vol. 15, 1974. p.131.

## خلاصة:

وفي الأخير توفي مارسيل پروسْت في الثامن عشر من نوفمبر 1922 عن عمر ناهز الواحد وخمسين سنة، وقد توفي بسبب مرض الرُّبو الذي يعاني منه منذ تسع سنوات، ممَّا دفعه إلى العزلة. توفي مارسيل پروسْت تاركاً فرنسا في صدمةٍ كبيرة. فقد تحوَّل قبل وفاته إلى كاتب أسطوري بفضل روايته «البحث عن الفردوس المفقود». لقد مزج بين الكتابة القصصية وعلم النفس، وباعتباره رائداً في هذا المجال وجد منفذاً إلى اللاوعي البشري. وعلى النقيض من الكاتب الروسي دوستويفسكي، الذي أثار في أعماله السمات النفسية للأشخاص غير العاديين، فإنَّ عمل پروسْت يعتبرُ تقريراً فريداً عن أفكار وسلوكيات البشر العاديين. ولأبداع هذه التحفة الفنية، ضحَّى پروسْت بكلِّ شيءٍ، ضحَّى حتى بصحته، لكنَّه أثبت موهبته في الكتابة، وتحوَّل إلى أديب عالمي ستبقى ذكراه خالدة، وسيبقى اسمه في الوعي الجمعي لكلِّ أنصار القضايا الإنسانية.

## مصدر المقالة:

Jahantigh, M.K. & Barani, M. (2015). Marcel Proust and «A La Recherche Du Temps Perdu». *Journal of Arts and Social Sciences*. 2(2), 116-124



## المصادر والمراجع المعتمدة:

1. Beckett, S. (1931). *Proust: Grove pressime*. New York.
2. Brewster Dorothy & Angus Burrell. (1960). *Modern world fiction: Littlefield*. U. S. A.: Adams & Company.
3. Bucknall, B. J. (1969). *The Religion of Art in Proust*. Chicago: University of Illinois Press.
4. Canning, J. (1974). *100 Great Books*. London.
5. Collins, J. (1923). *The Doctor Looks at Litrature*. London: George Allen Ltd.
6. *Encyclopedia Britannica*. (Vol. 15). (1974).
7. Graham, V. E. (1966). *The imagery of Proust*. Oxford: Basial Black Well.
8. Heiney, D. & Downs, L. H. (1974). *Continental European literature: Barron's educational series* (Vol. 1). New York.
9. Lass, A. H. (1968). *50 European novels*. New York: Washington Square Press.
10. Magill, F. N. (1952). *Masterpieces of world litrature: Friest series*. New York: Haper & Row.
11. Peyre, Henri-Maurice. (1974). *French literature from 1600 to the present*. U.S.A.: Harper & Row Publishers.
12. Proust, M. (1970). *Cities of the plain: A vintage book*. New York.
13. Proust, M. (1970). *Swann's way: A vintage book*. New York.
14. Proust, M. (1970). *The captive: A vintage book*. New York.
15. Proust, M. (1970). *The guermantes way: A vintage book*. New York.
16. Proust, M. (1970). *The past recaptured: A vintage book*. New York.
17. Proust, M. (1970). *The sweet cheat gone*. New York.
18. Proust, M. (1970). *Within a budding grore: A vintage book*. New York.
19. Quennell, P. (1971). *Marcel Proust Weidenfeld & Nicolson*. London.
20. Saurat, D. (1946). *Modern French Litetrature*. London: J.M.Dent.
21. Hornstein & Lillian Herlands (ed.). (1973). *The reader's companion to world litrature: A mentore book*. New York: New American Library.
22. Turnell, M. (1951). *The novel in France: A vintage book*. New York.
23. Turnell, M. (1959). *The art of French fiction*. London: Hamish Hamilton.
24. Welch, C. R. (1973). *Remenbrance of things past*. New York: Monarch Press.

 Mominoun

 MominounWithoutBorders

 @ Mominoun\_sm

[info@mominoun.com](mailto:info@mominoun.com)

[www.mominoun.com](http://www.mominoun.com)

مُهْمِنُون بِلا حدود

Mominoun Without 3orders

للدراسات والأبحاث [www.mominoun.com](http://www.mominoun.com)

